﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤﴾ [مريم: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

تـزاحـم حسـنُ المطلع وحسن الختام في إبراز قـصـة الـــولادة النورانية

وقعت الآية الكريمة معترِضَة بَيْنَ الجُمَلِ المَقولَةِ على لسان عيسى ﷺ، أي: بين قَوْلِه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، وقَوْلِه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾، والمعنى: ذَلك المَذْكورُ هو عيسى ابْنُ مَرْيَم، لا كَما تَزْعُم النَّصارى واليَهود[1]، والجملة تقرير لبشريَّة عيسى ﷺ، بعد إقراره صراحةَ بذلك.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾: (قول): أَصْلٌ واحِدٌ صَحيحٌ يَقِلُّ كَلِمُهُ، وهوَ القَوْلُ مِنَ النُّطْقِ، والمِقْوَلُ: اللِّسانُ، ورَجُلٌ قَوَلَةٌ وقَوّالٌ: كَثيرُ القَوْلِ[2]، والقَوْلُ: مَصْدَر قالَ، ومَعناهُ: الكَلامُ على التَّرْتيبِ، أو كُلُّ لَفْظٍ نَطَقَ به اللِّسانُ، سواء كان مُفيدًا أو لم يَكُن، يُقال: قالَ، يَقولُ، قَوْلًا، أيْ: تَكَلَّمَ كلامًا، والقَوْلُ يَقَعُ على الكَلامِ التّامِّ، وعلى الكَلِمَةِ الواحِدَةِ على سَبيلِ الحَقيقَةِ، ويُسْتَعْمَلُ بمعنى جَميعِ الأَفْعالِ، كَقَوْلِهم: قالَ بيَدِه هكذا، أيْ: أَخَذَ، وقالَ برِجْلِه، أيْ: مَشَى[3]، والمُرادُ بـ ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ في الآية: أَنَّ تِلْكَ الصِّفاتِ الَّتي سَمِعْتُم هيَ قَوْلُ الحَقِّ، أَي: مَقولُ هوَ الحَقُّ، وما خالَفَها باطِلٌ، أو أَنَّ عيسَى ﷺ هوَ قَوْلُ الحَقِّ، أَي: مَقولُ الحَقِّ[4].

2) ﴿يَمْتَرُونَ﴾: الامتِراءُ: الشَّكُّ والتَّرَدُّدُ في الأَمرِ، وهو بوَزْنِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 102.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قول).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (قول)، والنّووي، تهذيب الأسماء واللّغات: 4/ 106، والمناوي، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 277.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 102.

الافْتِعال، مُشْتَقٌّ مِنَ المِرْيَةِ - بكَسْرِ الميم - اسْمٌ للشَّكِّ، ولم يَرِدْ فِعْلُهُ إلّا بزيادَةِ التّاء، ولم يُسْمَعْ لَهُ فِعْلٌ مُجَرَّدٌ[1]، والمِراءُ: الجِدالُ، والمُماراةُ: المُجادَلَةُ على مَذْهبِ الشَّكِّ والرّيبة، ويُقالُ للمُناظَرَةِ: مُماراةٌ؛ لأنَّ كلَّ واحِدٍ يَسْتَخْرِجُ ما عِنْدَ صاحِبِه ويَمْتَريه، كما يَمْتَري الحالِبُ مِنَ الضَّرْعِ[2]، والمقصود بالامْتِراءِ في الآيةِ: الشَّكُّ، أي: الَّذي فيه يَشُكّونَ، أي: يَعْتَقِدونَ اعْتِقادًا مَبْناهُ الشَّكُّ والخَطَأُ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول تعالى في بيان عيسى عليه السلام: ذلك العَظيمُ القَدْرِ، العالي المَنْزِلةِ الذي أخبَرْتُكم بشأنِه هو عيسى ابنُ مَريمَ، فهذه صِفتُه، وتلك حقيقةُ نَشأتِه، قَولَ الحَقِّ، الذي فيه يختلفُ النّاسُ ويشُكّون، فكذلك فاعتَقِدوا، لا كما يظنُّ اليهودُ أنَّه ابنُ زِنى، ولا كما يظُنُّ النَّصارى أنَّه اللّهُ، أو ابنُ اللّهِ، أو ثالثُ ثلاثةٍ[4].

ما أخبر به القرآنُ عن خَلْق عيسى هو الحَقُّ الساطِع، وكلُّ ما عداه باطلٌ ساقطٌ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

الغرض من جملة الاعتراض:

وقع قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ اعتراضًا مُقرِّرًا لمضمونِ ما قبْلَه، والتَّقدير: ذلك المَذكور الذي تقدَّمَ وصْفُه هو عيسَى ابنُ مريمَ، لا كَما يعتقده النَّصارى أنَّه الإلَه أَوِ ابْنُ الإلَه، ولا اليهودُ، وهو تكذيبٌ لهم فيما يصِفونَه على الوجْه الأبلغِ والطَّريقِ البُرهانيِّ؛ حيثُ جعله موصوفًا بأضدادِ ما يصِفونَه، ثُمَّ عكَسَ الحُكمَ، فهو اعتراضٌ بينَ الجُملِ المقولةِ في قولِه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾، مع قولِه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾، أي: ذلك المَذكور هو عيسى ابنُ مريمَ لا كما تزعُمُ النَّصارى واليهودُ[5].

وَجْه بلاغة الطّريق البُرهانيّ والكِنائيّ في تكذيب اليهود النَّصارى

(1) الرّاغب، المفردات: (مرى).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (مري).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 102.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 534 - 536، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 105 - 106، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 230.
(5) أبو السُّعود: إرشاد العقل السّليم: 3/ 581، والبَيْضاوي، أنوار التَّنزيل: 5/ 264، وشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 5/ 547.

دلالة الاستئناف في ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى﴾:

التّعريض بالرَّدِّ على اليهودِ والنَّصارى

جملة: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى﴾ استئنافيّةٌ لا محلّ لها مِنَ الإعراب، وافتُتحت باسم الإشارة: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ لتمييزِ المَذكورِ أكمَلَ تَمييزٍ؛ تعريضًا بالرَّدِّ على اليهودِ والنَّصارى جميعًا في شأن عيسى عليه السلام؛ لأنَّهم لمّا وصَفوه بغيرِ ما هو صِفَتُه، جُعِلوا بمنزلةِ مَن لا يعرِفونَه، فاجْتُلِبَ اسمُ الإشارةِ؛ ليتميَّزَ الموصوفُ أكمَلَ تَمييزٍ عندَ الَّذين يُريدونَ أنْ يعرِفوه حقَّ معرفته. "والمقصودُ بالتَّمييزِ تمييزُ صِفاتِه الحقيقيَّةِ عنِ الصِّفاتِ الباطلةِ الَّتي ألْصَقوها به، لا تمييزُ ذاتِه عنِ الذَّواتِ؛ إذ ليستْ ذاتُه بحاضرةٍ وقْتَ نُزولِ الآيةِ، أي: تلك حقيقةُ عيسى عليه السلام وصِفَتُه"[1].

الغرض مِن تعريف المسند إليه باسم الإشارة:

كرامة عيسى عليه السلام عند رَبِّه

وفي تعريف المسند إليه باسم الإشارة للبعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾ إيماءٌ إلى بُعْدِ منزلة عيسى عليه السلام، وعُلوِّ مَرتبتِه في الفضل والكرامة عند الله تعالى، وامتيازِه بتلك المناقبِ الحميدةِ عن غيرِه، ونُزولِه منزلةَ المُشاهَدِ المحسوسِ[2]، ولَمَّا كان فيما سبَق مِن أقواله الدّالّة على أحواله أعظمُ البيان عن بُعْدِه عمَّا ادَّعى فيه النّصارى مِنَ الإلَهيّة، واليهودُ مِن أنّه لغير رَشْدَة؛ نبَّه التّنزيل الحكيم على ذلك البُعْد باسم الإشارة للبعيد: ﴿ذَٰلِكَ﴾[3].

فائدة التقييد بجملة: ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾:

ذكر صورة المولودية لعيسى عليه السلام في الآية هو لتأكيد بشريّته، ونِسْبَته لأُمِّه، وأنَّه لا والدَ له.

تنوُّع القراءات بالرَّفْع والنَّصْب في ﴿قَوْلَ﴾، وأثرُه في المعنى:

تنوَّعت القراءات بالرَّفْع والنَّصْب في ﴿قَوْلَ﴾؛ فقَرَأ ابْنُ عامِرٍ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 102.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 581.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 4/ 532.

وعاصِمٌ ويَعْقوب: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بالنَّصْبِ، وقَرَأ الباقون بالرَّفْعِ: ﴿قَوْلُ﴾[1]، ووَجْه القِراءَةِ الأولى: أنَّهُ مُنْتَصِبٌ عَلى المَدْحِ، أوْ عَلى أنَّهُ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لـ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، ووَجْهُ القِراءَةِ الثّانِيَةِ: أنَّهُ نَعْتٌ لعيسى، أيْ: ذَلِكَ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الحَقِّ[2]، وتتوجَّه قراءةُ النصب على الإغراء أيضًا، أي: الزموا ذلك، وهو نسبة عيسى إلى مريم عليها السلام وحدَها، وتتوجَّه قراءة الرّفع على تقدير: هو قولُ الحَقّ، أي: نسبتُه إليها فقط قولُ الحق[3].

سِرُّ الإضافة في ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾:

أُضيفَ القَوْل إلى الحَقِّ في ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾، كَما في قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: 16] أي: الوعد الصّدق، وهو من باب إضافة الموصوف إلى الصّفة، مثل: حَقُّ اليقين، وقيل: الإضافة للبيان[4]، والأولُ هو الأعلى؛ لقيام الأدلّة في سياق السّباق على إحاطة الحَقّ بهذا القول مِن كلّ جانب؛ فهذه الصّفة متمكّنة فيه، وهو لا ينفكُّ عنها، وسُمّي عيسى عليه السلام (قولًا) كما سُمّي (كلمة)؛ لأنَّه نَشَأَ عنها.

التَّأكيد على صِدْق خَبَر السَّماء عن عيسى عليه السلام

الغرض مِنَ التَّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِي﴾:

عُبِّر بالموصول؛ ليُتوَصَّلَ مِن خلال جملة الصّلة إلى بيان التّعجيب مِن شهرة مضمون الصّلة: ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾؛ مع ما يفيده قولُه: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ خصوصًا على قراءة الرّفع، والمعنى: كيف يمترون فيه؛ وهو الحَقّ، ونسبتُه إلى مريمَ وحدَها حَقّ؟!.

تعجيبٌ مِن ضلال اليهود والنَّصارى في عيسى عليه السلام

الغرض مِن تقديم شبه الجملة ﴿فِيهِ﴾ على الفعل:

قُدِّم شِبْه الجملة ﴿فِيهِ﴾ على الفعل: ﴿يَمْتَرُونَ﴾؛ لأنَّه الأهم

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 318.
(2) الشَّوكاني، فَتْح القدير، ص: 889.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 4/ 532.
(4) القنوجيّ، فتح البيان: 8/ 321.

في سياقه؛ إذ إنَّ عيسى ابن مريم ﷺ هو مَوْطِن جدالهم وشَكِّهم واختلافهم، وفي تقديمه إنكارٌ خفيٌّ عليهم؛ إنكارٌ لكونهم يمترون فيه؛ إذ إنّ جميعَ أحوالِه لا تستوجب هذا الامتراء، بل تقضي بحقّ الإيمان به عبدًا مخلوقًا للّه، نبيًّا ورسولًا؛ فقد تجاهلوا أحوالَه وما تقتضيه، وقالوا: إنّه اللّه، وغيرَ ذلك مِن أعاجيب أقوالهم وفاسِد معتقداتهم.

عيسى ابن مريم ﷺ هو مَوْطِن جِدالِ واختلافِ اليهود والنَّصارى

معنى حَرْف (في) ودلالته في ﴿فِيهِ﴾:

دلَّ التَّعبير بحَرْف الوعاء (في) على شِدَّة اختلاف اليهود والنَّصارى وعمقه، ومِرائِهم في ذات عيسى ﷺ وأمرِه وشأنِه كُلِّه، أمّا امتراؤهم في عيسى ﷺ، فطائفةٌ منهم تقول: هو ابنُ اللّه، وطائفة تقول: هو اللّه، وثالثة تقول بالتَّثليث، وأُخرى تقول: هو ساحِرٌ كاذبٌ، وبالتّعبيرِ بـ: ﴿فِيهِ﴾ في نور قراءة الرّفع خصوصًا في: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ يشتدُّ الإنكارُ عليهم؛ مِن طريق تقديم: ﴿فِيهِ﴾ على: ﴿يَمْتَرُونَ﴾.

اختلافهم في عيسى ﷺ عميقٌ مُتَجَذِّر

سِرُّ إيثار التَّعبير بـ﴿يَمْتَرُونَ﴾ على (يختلفون):

أوثِرَ التَّعبير بـ﴿يَمْتَرُونَ﴾ على (يختلفون)؛ لأنَّ الاختلاف يستلزم أن يكون قَوْل بعض قوم عيسى فيه حَقًّا، وبعضٍ آخَر منهم باطلًا، أمّا الامتراء فيقتضي بُطلانَ أقوالِ جميعِ فِرَق النَّصارى القائلين بأنَّ عيسى إله، أو ابن إله، واليهود القائلين في أُمِّه قَوْلَ السّوء، وبأنَّه ساحر[1].

الامتراء يقتضي بُطلانَ أقوالِ الأحزاب في عيسى ﷺ

تنوّعُ الموقعِ الإعرابيّ لاسم الموصول وصلتِه، وأثرُه في المعنى:

في قوله تعالى: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، ﴿ٱلَّذِى﴾ نعتٌ للقول، إن أُريدَ به عيسى ﷺ، أو اسم موصول في محلِّ جرٍّ صفةٌ للحَقّ[2]، والمعنى: ذلك الذي ذكرناه لكَ مِن خبر عيسى هو القولُ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 117.
(2) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 13/ 63.

الحَقّ، الذي شَكَّ في صدقه الكافرون، وتنازع فيه الضّالّون، فلا تلتفت إلى شَكّهم وكفرهم، بل ذَرْهُم في طغيانهم يعمهون[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الامتراء والشّكّ:

الامتراء استخراجُ الشُّبَه المُشْكِلة، والشّكّ تَرَدُّد الذِّهْن بين أمرين على حَدٍّ سواء

الامتراء: أَصْله المَرْي: وهو استخراج اللَّبَن مِنَ الضّرْع، والامتراء: استخراجُ الشُّبَه المُشْكِلة مِن غير حَلٍّ لَها[2]، والمِرْية: مرتبة متوسطة بين الشَّكّ والرَّيْب، ومن شواهده قولُه تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحجّ: 55].

الشَّكّ: يدلُّ أَصْل المادَّة على التَّداخُل[3]، وهو تَرَدُّد الذِّهْن بين أمرين على حَدٍّ سواء، أي: اعتدال النَّقيضين وتساويهما مِن غير تقوية أحدهما على الآخر[4]، والشَّكُّ ربّما يكون في وجود الشَّيء أو عَدَم وجوده، وربّما كان في جنسه، من أيّ جنس هو؟ وربّما كان في بعض صفاته، وربّما كان في الغرض الذي لأجله أوجد، والشَّكّ: مِن الجَهْل، وهو أخصّ منه؛ لأنّ الجهل قد يكون عدم العِلْم بالنّقيضين رأسًا[5].

(1) الطّنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 36.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 99.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شكك).
(4) العَسْكريّ، معجم الفروق اللّغويّة، ص: 178.
(5) الرّاغب، المفردات: (شكك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»